علاقات النبي محمد (ﷺ) مع الاقوام غير العربية

أ.م.د. ئاراس فريق زينل

كلية العلوم الانسانية/ جامعة السليمانية

Relations of the Prophet Muhammad with non-Arab people

Ass. Prof. Dr. Aras Fareeq Zainal

Faculty of Humanities\ University of Sulaymaniyah

Abstract

The emergence of external relations between nations and nations since ancient times as a means of understanding and communication, in view of the need of societies, as the key to international relations in which interests overlap.

After the Prophet Muhammad (PBUH) settled in Madinah and the foundations of Islamic countries, in the course of its first five years, it resisted the military campaigns waged by the Quraysh on Islam,

It is imperative that any country in the world deal with neighboring countries through foreign policy adopted by the leadership in those countries, and the diversity of external relations under the Prophet Muhammad on cooperation, good-neighborliness, exchange of delegations and signing of agreements, and the Prophet Muhammad as the supreme Islamic message It was necessary for him to surround what is going on around him in the neighboring countries. It is natural for the prophets to adopt the process of external communication in order to communicate the message, despite the weakness of the means of communication at the time. The process was not easy. The Prophet Muhammad (PBUH) first began to address the kings and heads Tribes, through his dispatch Delegations and dignitaries to tribes, nations and heads of state.

Keywords: Relationships, Prophet, Muhammad, Arab, Abkhaz, Jews, Persians, Romans.

المقدمة

نشأة العلاقات الخارجية بين الامم والدول منذ القديم كوسيلة للتفاهم والاتصال، وذلك نظراً لحاجة المجتمعات اليها، باعتبارها مفتاح العلاقات الدولية التي تتداخل فيها المصالح.

بعد ان استقر النبي محمد (ص) في المدينة المنورة وأسس الدول الاسلامية، تصدى في خلال سنواتها الخمس الاولى للحملات العسكرية التي كانت تشنها قريش على الاسلام،

لابد لأي دولة في العالم من التعامل والتعاطي مع الدول المجاورة عبر سياسة خارجية متبناة من قبل القيادة في تلك الدول، وتنوع العلاقات الخارجية في عهد الرسول محمد (ص) على التعاون وحسن الجوار وتبادل الوفود وتوقيع الاتفاقيات، والرسول محمد (ص) باعتباره الرسالة الاسلامية السامية كان لزاماً علية أن يحيط بما يجري حوله في الدول المجاورة ومن الطبيعي أن يتبنى الانبياء عملية الاتصالات الخارجية من اجل تبليغ الرسالة بالرغم من ضعف وسائل الاتصال آنذاك، ولم تكن العملية يسيرة بداً، حيث بادر الرسول محمد (ص) في بادئ الامر الى مخاطبة الملوك ورؤساء القبائل، عبر ارساله الوفود والشخصيات البارزة الى القبائل والامم والرؤساء الدول.

الكلمات المفتاحية: علاقات، النبي، محمد، اقوام، العرب، الاحباش، اليهود، الفرس، الروم.

علاقات النبي مع الأقوام الغير العربية

علاقة النبي مع الأحباش

أولى علاقات النبي مع الأحباش كانت في المرحلة المكية، وبدأ بإسلام بلال الحبشي، كان بلال بن رباح الحبشيّ مولى لأميّة بن خلف[1]، وأوّل من أظهر الإسلام سبعة، فكان أحد منهم بلال بن رباح الحبشي[2]، فلما أظهر بلال إسلامه، كان أمية بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة، في بطحاء مكّة، ثمّ يأمر بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثمّ يقول له: لا تزال هكذا حتّى تموت، أو تكفر بمحمّد، وتعبد اللّات والعزّى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد[3]، ولما لقيه النّبيّ قال: (لو كان عندنا شيء ابتعنا بلالا)، فلقي أبو بكر العبّاس، فقال: اشتر لي بلالا فاشتراه العبّاس، وبعث به إلى أبي بكر، فأعتقه.[4]

وأوّل من أذّن في الإسلام هو بلال بن رباح، وكان بلال إذا فرغ من الأذان فأراد أن يعلم النّبيّ أنّه قد أذّن وقف على الباب وقال: حيّ على الصّلاة. حيّ على الفلاح. الصّلاة يا رسول اللّه.[5]

شهد له النّبيّ على التّعيين بالجنّة، فقال: (يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام، فإني سمعت الليلة خشفة نعليك بين يدي الجنة).[6]

فكان قربه من النبي (ص) وفضله في الإسلام جعله يذكر بين الصحابة بسيدهم كما قال عمر في خطبته (هذا سيّدنا بلال).[7]

وتطور علاقات النبي مع الأحباش من العلاقات الشخصية إلى العلاقات الدولية حينما أمر النبي المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، فعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي، أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله، وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره ما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله: (إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه)، فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا ونزلنا بخير دار إلى خير جار أمنا على ديننا، ولم نخش منه ظلما.[8]

فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته، قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم... وبعد المناظرة قال للمسلمين بحضور وفد قريش: اذهبوا، فأنتم سيوم بأرضي – والسيوم: الآمنون – من سبكم غرم، وقال لمن حوله: ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها.[9]

وبعث رسول الله عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتابا: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا، ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاءوك فاقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله وقد

1 - ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1997م، ج8/ ص 304-305.
2 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1990م، ج3/ ص 176.
3 - ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 2، 1955م، ج1/ ص 317-318.
4 - الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، 2006م، ج3/ ص 213.
5 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3/ ص 176-177.
6 - ابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط 2، 1993، ج15/ ص 560.
7 - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3/ ص 218.
8 - البيهقي: دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط 1، 1988م، ج2/ ص 301.
9 - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2001م، ج37/ ص170.

بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)، وكتب النجاشي إلى رسول الله: (بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق).[1]

ولما أراد النبي تزويج أم حبيبة بعد موت بعلها عبدالله بن جحش، كتب بذلك إلى النجاشي، قالت أم حبيبة: فما هو إلا أن انقضت عدتي، فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها: أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت علي فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله كتب إلي أن أزوجك، فقلت: بشرك الله بخير، وقالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته... فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي، فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، أما بعد فإن رسول الله كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله وقد أصدقتها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم... ثم أرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل الطعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا، ثم تفرقوا، قالت أم حبيبة: فلما وصل إلي المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي وهذه خمسون مثقالا فخذيها فاستعيني بها، فأخرجت إلي حقة فيها جميع ما أعطيتها فردته إلي وقالت: عزم علي الملك أن لا أرزأك شيئا وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه وقد اتبعت دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر، فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كثير، وقدمت بذلك كله على رسول الله وكان يراه علي وعندي فلا ينكر، ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله مني السلام وتعلميه أني قد اتبعت دينه، قالت: ثم لطفت بي وكانت هي التي جهزتني، وكانت كلما دخلت علي تقول: لا تنسي حاجتي إليك، قالت: فلما قدمنا على رسول الله أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة، فتبسم رسول الله وأقرأته منها السلام، فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته.[2]

وقد أهدي النّجاشيّ إلى النّبيّ خفّين أسودين ساذجين فلبسهما ثمّ توضّأ ومسح عليهما[3]، كما اهدى النبي إلى النجاشي، فعن أنس بن مالك، أنّ ملك الرّوم، أهدى إلى النّبيّ مستقة من سندس، فلبسها، فكأنّي أنظر إلى يديه تذبذبان، ثمّ بعث بها إلى جعفر فلبسها، ثمّ جاءه، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لم أعطكها لتلبسها» قال: فما أصنع بها؟ قال: «أرسل بها إلى أخيك النّجاشيّ.[4]

وقد قام النبي بخدمة الأحباش عندما أتى وفد منهم إليه، فعن أبي أمامة. قال قدم وفد النّجاشيّ على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول اللّه. فقال: «إنّهم كانوا لأصحابي مكرمين وإنّي أحبّ أن أكافيهم.[5]

ولما مات النجاشي حن له النبي وصلى عليه غيابا، فعن جابر قال النّبيّ حين مات النّجاشيّ: (مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلّوا على أخيكم أصحمة).[6]

كما سكن في المدينة عدد من الأحباش، فعن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم).[1]

1 - البيهقي: دلائل النبوة، ج2/ ص 309.
2 - الحاكم: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1990م، ج4/ ص 22.
3 - الترمذي: سنن الترمذي، دار ابن كثير، بيروت، ط1، سنة 2016م، ص 1031.
4 -أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج21/ ص 93.
5 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج4/ ص 194.
6 - البخاري: صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ط2، سنة 1999م، ص 651.

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة قال: بينا الحبشة يلعبون عند النبي بحرابهم، دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها، فقال: (دعهم يا عمر).[2]

وقد استمع النبي كلام الأحباش وأجاب أسئلتهم وبين لهم مقام الفضل وهدم مبادىء الجاهلية، فعن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأله، فقال له النبي: (سل واستفهم)، فقال يا رسول الله، فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت مثل ما عملت به، إني لكائن معك في الجنة؟ قال: (نعم)، ثم قال النبي (والذي نفسي بيده، إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام).[3]

وقد شارك الأحباش مع النبي في الغزوات، فعن ذي مخمر ابن أخي النجاشي، قال: كنت مع رسول الله في بعض غزواته ومعه نفر من الحبشة، فسروا من الليل ما سروا ثم نزلوا.[4]

علاقة النبي مع اليهود

بدأ علاقات النبي مع اليهود بعدما هاجر إلى يثرب، فاليهود في يثرب لهم شأن عظيم في جانبي الدينية والاقتصادية، وكان لهم أسواق خاصة بالمدينة، وبدأ العلاقات بتوافق سياسي وديني واجتماعي منصوصة بين النبي واليهود:

من تبعنا من يهود فإنّ له النّصر والأسوة غير مظلومين ولا تناصر عليهم، وإنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلّا من ظلم وأثم فإنّه لا يوتغ إلّا نفسه وأهل بيته، وإنّ ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الحرث مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتع إلا نفسه وأهل بيته.. وإنّ بطانة يهود كأنفسهم، وإنّه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.. وإنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإنّ بينهم النّصر على من حارب أهل هذه الصّحيفة، وإنّ بينهم النّصح والنّصيحة والبرّ دون الإثم، وإنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصّحيفة.[5]

بل كان لليهود محكمة يهودية ولهم قوانينهم الخاصة في دولة المدينة، كما جاء في القرآن الكريم (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنّ اللّه يحبّ المقسطين).[6]

وفي أول الأمر كان رسول اللّه يحبّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء[7]، ولكن اليهود يحبون معارضته، ففي السنة الاولى من الهجرة النبوية مرّ النبي في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود... فسلّم عليهم النّبيّ ثمّ وقف، فنزل فدعاهم إلى اللّه، وقرأ عليهم القرآن، فرد عليه عبد اللّه بن أبيّ ابن سلول، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود، حتّى همّوا أن يتواثبوا، فلم يزل النّبيّ يخفّضهم، ثمّ ركب دابّته حتّى دخل على سعد بن عبادة.[8]

1 - البخاري: صحيح البخاري. ص 78.
2 - البخاري: صحيح البخاري. ص 480.
3 - الأصبهاني: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط1، 1998م، ج1/ ص277.
4 - الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج2/ ص 1037.
5 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج4/ ص 557 – 558.
6 - المائدة: 42.
7 - البخاري: صحيح البخاري. ص 597.
8 - البخاري: صحيح البخاري. ص 1088 – 1089.

حارب النبي (ص) اليهود في مراحل بسبب نقضهم عهد المدينة كالتالي:

أولا: غزوة بنو قينوقاع:

إنّ بني قينقاع كانوا أوّل يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله، وحاربوا فيما بين بدر وأحد وكانت في شوّال من السّنة الثّانية من الهجرة[1]، وكان سببه أنّ امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم، وجلست إلى صائغ بها, فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فلم تفعل. فعمد الصّائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها, فلمّا قامت انكشفت سوءتها فضحكوا، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصّائغ فقتله وكان يهوديّا. فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه. فأغضب المسلمون ووقع الشر، فحاصرهم رسول اللّه وحاربوا، ثم نزلوا على حكمه، فكلّم عبد اللّه بن أبيّ بن سلول رسول اللّه وألحّ عليه، فأمر بهم أن يجلوا من المدينة، فلحقوا بأذرعات.[2]

ثانيا: غزوة بنو النضير:

جاء ذكر سببين لتلك الغزوة:

أولا: كتب كفّار قريش إلى اليهود: إنّكم أهل الحلقة والحصون، وإنّكم لتقاتلنّ صاحبنا، أو لنفعلنّ كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء، فأجمعت بنو النّضير بالغدر، فأرسلوا إلى رسول اللّه اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك، وليخرج منّا ثلاثون حبرا، حتّى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك، فإن صدّقوك وآمنوا بك آمنّا بك، فقصّ خبرهم.[3]

ثانيا: خرج رسول اللّه إلى بني النّضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللّذين قتلهما عمرو بن أميّة للعهد الّذي كان النبي أعطاهما، وكان بين بني النّضير وبين بني عامر عهد وحلف، فلّما أتاهم النبي قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك عى ما أحببت، ثمّ خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنّكم لن تجدوا الرّجل على مثل حاله هذه – ورسول اللّه إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد – فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحّاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال: ورسول اللّه في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ، فأتى رسول اللّه الخبر من السّماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة، فبعث محمّد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث إليهم أهل النّفاق يثبّتونهم ويحرّضونهم على المقام ويعدونهم النّصر، فقويت عند ذلك نفوسهم وحمى حيي بن أحطب وبعثوا إلى رسول اللّه أنّهم لا يخرجون ونابذوه بنقض العهود فعند ذلك أمر النّاس بالخروج إليهم، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول اللّه بقطع النّخيل والتّحريق فيها، فسألوا رسول اللّه أن يجليهم ويكفّ عن دمائهم، على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم.[4]

ثالثا: غزوة بني قريظة:

كان بنو قريظة قد ظاهروا قريشا في الخندق وأعانوهم على حرب رسول اللّه[5]، فذهب حييّ بن أخطب إلى كعب بن أسد القرظي صاحب عهد بني قريظة وعقدهم، وقد كان وادع رسول اللّه على قومه، فلما سمع كعب بحييّ أغلق دونه الحصن فأبى أن يفتح له، فناداه: يا كعب افتح لي، قال: إنّك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلّا وفاء وصدقا. قال: ويلك افتح لي أكلمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلّا عن جشيشتك أن آكل معك منها. فأحفظه ففتح له فقال: ويحك يا كعب، جئتك بعزّ الدّهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتّى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها فأنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه، قال له كعب: جئتني والله بذلّ الدّهر وبجهام قد هراق ماءه برعد وبرق ليس فيه شيء، يا حييّ فدعني وما أنا عليه فإنّي لم أر من محمد إلّا

1 - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، ج1/ ص 364.
2 - الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، ج1/ ص91–92.
3 - ابو داود: سنن أبي داود، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، سنة 2015م، ص 660.
4 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج5/ ص 535 – 536.
5 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج6/ ص 13.

صدقا ووفاء. فلم يزل حييّ بكعب حتى سمح له بأن أعطاه عهدا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب عهده وبرئ ممّا كان بينه وبين النّبيّ.

ولما انتهى الخبر إلى النّبيّ بعث سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة سيّد الأنصار، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوّات بن جبير – رضي الله عنهم– فقال: (انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتّوا في أعضاد النّاس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للنّاس). فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، فلمّا رجع رسول اللّه –صلّى اللّه عليه وسلّم– من الخندق، أمر بالمسلمين أن لا يصلّينّ أحد العصر إلا في بني قريظة[1]، فحاصرهم حتّى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكانوا حلفاءه، فحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريّهم ونساؤهم.[2]

رابعا: غزوة خيبر:

في سنة سبع، خرج رسول الله إلى خيبر[3]، وافتتح رسول اللّه حصونهم حصنا حصنا، فسألوا رسول اللّه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم ففعل، ثم سألوا رسول اللّه أن يعاملهم في الأموال على النّصف ففعل، ولما سمع أهل فدك بما صنع رسول اللّه بأهل خيبر بعثوا إلى رسول اللّه يسألونه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ويخلّون له الأموال ففعل.[4]

وبقي عدد من اليهود في المدينة حتى وفاة الرسول وتعامل معهم النبي حسن المعاملة، فعن أنس، أنّ غلاما من اليهود كان يخدم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فمرض فأتاه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يعوده وهو بالموت، فدعاه إلى الإسلام، فنظر الغلام إلى أبيه وهو عند رأسه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، ثمّ مات، فخرج رسول اللّه من عنده وهو يقول: الحمد للّه الّذي أنقذه بي من النّار.[5]

وعن الأشعث بن قيس قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدّمته إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال لي رسول اللّه: (ألك بيّنة)، قال: قلت: لا، قال: فقال لليهوديّ: (احلف)، قال: قلت: يا رسول اللّه، إذا يحلف ويذهب بمالي.[6]

عن أنس قال: رهن النّبيّ درعا له بالمدينة عند يهوديّ، وأخذ منه شعيرا لأهله[7]، وعن عائشة زوجة النبي قالت: توفّي رسول اللّه ودرعه مرهونة عند يهوديّ، بثلاثين صاعا من شعير.[8]

علاقة النبي مع الفرس

كان علاقة النبي (صلى الله عليه وسلم) مع الفرس في المرحلة المدنية، أي لا يوجد نص تأريخي تشير إلى علاقة النبي مع الفرس في المرحلة المكية، بل بدأ التعامل معهم بعد هجرته إلى المدينة على صعيدين:

أولا: علاقات شخصية: تعامل النبي (صلى الله عليه وسلم) على الصعيد الشخصي مع أشخاص معينة من الفرس كانوا يعيشون في المدينة وكلهم كانوا من المسلمين، تعامل من نسائهم ورجالهم وعبيدهم.

أشار أبو نعيم الأصبهاني إلى إسلام عجوزة أصبهانية قبل إسلام سلمان الفارسي فقال (أمة اللّه امرأة أسلمت قبل سلمان الفارسيّ ذكر سلمان أنّه سألها وهي أصبهانيّة).[9]

قال سلمان الفارسي (لمّا قدمت المدينة... لا أجد أحدا يفقه كلامي، حتّى جاءت عجوز فارسيّة (من أهل بلادي) تستقي فكلّمتها، ففهمت كلامي (وفي رواية: فإذا بمواليها، وأهل بيتها قد أسلموا كلّهم، وسألتها عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم) فقلت لها: أين هذا الرّجل الّذي خرج(أي رسول الله) دلّيني عليه؟ قالت: سيمرّ بك بكرة إذا صلّى الصّبح.[10]

1 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج6/ ص 36 – 37.
2 - مسلم: صحيح مسلم، دار ابن كثير، بيروت، ط1، سنة 2017م، ص 986.
3 - الطبري: تأريخ الأمم والملوك، ج1/ ص 421.
4 - تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم , مؤسسة الرسالة - دمشق, بيروت، ط2، 1397هـ، ص 83.
5 - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج21/ ص 78.
6 - البخاري: صحيح البخاري. ص 434.
7 - البخاري: صحيح البخاري. ص 332.
8 - البخاري: صحيح البخاري. ص 482.
9 - الأصبهاني: تاريخ اصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ج1/ ص 105.
10 - المصدر نفسه، ج1/ ص 105-106.

كذلك كان النبي على علاقة ود ومحبة مع سلمان الفارسي، في أول الأمر تحرى سلمان نبوة محمد واستيقن وأسلم، ثم مد النبي (صلى الله عليه وسلم) له يد العون حتى يعتق رقبه من قيد العبودية، وكان سلمان قد استعبد في سفره المشهور واشتراه يهودي من يهود ايثرب، وطلب النبي من المسلمين أن يمدوا يد العون لسلمان.

قال سلمان الفارسي: (مر بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأنا أعطيكم غنيمتي هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبدا من رجل يهودي بوادي القرى ... حتى قدم رجل من بني قريظة فابتاعني، فخرج بي حتى قدمنا المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعتها فأقمت في رقي، وبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة لا يذكر لي شيء من أمره، مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم قباء، وأنا أعمل لصاحبي في نخله، فوالله إني لفيها، إذ جاء ابن عم له فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن مجتمعون على رجل جاء من مكة، يزعمون أنه نبي. فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء –يقول الرعدة– حتى ظننت لأسقطن على صاحبي، ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة، وقال: مالك ولهذا، أقبل على عملك. فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبرا فأحببت أن أعلمه، فلما أمسيت وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت إلى رسول الله وهو بقباء فقلت له: بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحابا لك غرباء، وقد كان عندي شيء للصدقة، فرأيتكم أحق من بهذه البلاد فهاكها فكل منه، فأمسك وقال لأصحابه: (كلوا). فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم رجعت وتحول رسول الله إلى المدينة، فجمعت شيئا ثم جئته به، فقلت: هذا هدية، فأكل وأكل أصحابه، فقلت: هذه خلتان، ثم جئته وهو يتبع جنازة وعلي شملتان لي، وهو في أصحابه، فاستدرت لأنظر إلى الخاتم، فلما رآني استدبرته عرف أني أستثبت شيئا وصف لي، فوضع رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه، كما وصف لي صاحبي، فأكببت عليه أقبله وأبكي، فقال: تحول يا سلمان هكذا. فتحولت، فجلست بين يديه، وأحب أن يسمع أصحابه حديثي عنه، فحدثته يا بن عباس كما حدثتك. فلما فرغت قال: (كاتب يا سلمان). فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له وأربعين أوقية، فأعانني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل ثلاثين ودية وعشرين ودية وعشر, فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فقر لها، فإذا فرغت فآذني حتى أكون أنا الذي أضعها بيدي). ففقرتها وأعانني أصحابي، يقول: حفرت لها حيث توضع حتى فرغنا منها، وخرج معي، فكنا نحمل إليه الودي فيضعه بيده ويسوس عليها، فوالذي بعثه ما مات منها ودية واحدة وبقيت علي الدراهم، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب فقال: (أين الفارسي؟) فدعيت له فقال: (خذ هذه فأد بها ما عليك). قلت: يا رسول الله! وأين تقع هذه مما عليّ؟ قال: (فإن الله سيؤدي بها عنك). فوالذي نفس سلمان بيده، لوزنت لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم وعتق سلمان.[1]

وفي غزوة خندق كان لسلمان دور مهم لحسم المعركة، إذ أشار بخطة عسكرية غير تجريبية عند العرب فأدهش الجيش مهاجم وأهزمهم، إذ أشار بحفر الخندق حول المدينة وأمر النبي بتطبيق مشورته.[2]

كما كان للنبي علاقة مع جاره الفارسي، فعن أنس أن جارا لرسول الله فارسيا كان طيب المرق، فصنع لرسول الله، ثم جاء يدعوه، فقال: (وهذه؟ لعائشة، فقال: لا، فقال رسول الله: (لا)، فعاد يدعوه، فقال رسول الله) وهذه؟)، قال: لا، قال رسول الله: (لا)، ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله) وهذه؟)، قال: نعم في الثالثة، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله.[3]

1 - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1/ ص 187 – 188.
2 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م، ج2/ ص 65.
3 - مسلم: صحيح مسلم/ ص 1136.

ثانيا: علاقات دولية:

أشار النبي عدة مرات بفتح قصور كسرى واستغنام كنوزه، فقال جابر بن سمرة سمعت رسول الله يقول: (لتفتحن عصابة من المسلمين – أو من المؤمنين – كنز آل كسرى الذي في الأبيض)[1]، وقد قال لعدي بن حاتم (لئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى)[2].

وبعد صلح الحديبية كتب النبي إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى[3]، وبعث بكتابه رجلا وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى[4]، جاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي الأمي إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك)[5]، فلما قرأه كسرى مزقه، فدعا عليهم رسول الله أن يمزقوا كل ممزق.[6]

بعدها كتب كسرى إلى صاحبه بصنعاء يتوعده ويقول: ألا تكفيني رجلا بأرضك يدعوني إلى دينه أو أؤدي الجزية وأنا صاغر فإن لم أفعل قاتلني فإن ظهر علي قتل المقاتلة وسبى الذرية؟ لتكفنيه أو لأفعلن بك فبعث صاحب صنعاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة لا يكلمهم ولا ينظر إليهم إلا إعراضا فلما مضت خمس عشرة ليلة تقدموا إليه فلما رآهم دعاهم وقال: اذهبوا إلى صاحبكم فقولوا: إن ربي قتل ربك الليلة فانطلقوا فأخبروه بالذي صنع وبالذي قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم صاحبهم: تحفظون تلك الليلة؟ قالوا: نعم ليلة كذا وكذا وقال: أخبروني كيف رأيتموه؟ قالوا: ما رأينا ملكا أهيب منه لا يخاف شيئا آمنا لا يحرس ولا يرفع أصحابه أصواتهم عنده قال دحية: ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك الليلة.[7]

وقد أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) بهلاك كسرى وسلطانه، فقال (قد مات كسرى، فلا كسرى بعده).[8]

علاقة النبي مع الروم

تنقسم علاقات النبي (ص) مع الروم إلى مراحل أربعة:

المرحلة الأولى: قبل نبوته: فقد سافر النبي قبل نوبته مرتين إلى الشام، وكان هذا البلد حينئذ تحت سلطة الروم، سافر سفره الاول في مرحلة نشوئه مع عمه أبي طالب، وسفره الثاني كان في مرحلة شبابه،

فقد كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، فلمّا بلغها عن رسول اللّه ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشّام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التّجّار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول اللّه منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتّى قدم الشّام، ثمّ باع رسول اللّه سلعته الّتي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثمّ أقبل قافلا إلى مكّة.[9]

المرحلة الثانية: بعد نبوته: وبعد نبوته آمن به صهيب الرومي، فكان صهيب بن سنان الرّوميّ من المهاجرين الأوّلين[10]، فقد قال رسول اللّه: (السّبّاق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الرّوم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبش.[11]

1 - مسلم: صحيح مسلم، ص 1561.
2 - البخاري: صحيح البخاري. ص 603.
3 - مسلم: صحيح مسلم/ ص 991.
4 - البخاري: صحيح البخاري. ص 16.
5 - الأصبهاني: دلائل النبوة، ص 348.
6 - البخاري: صحيح البخاري. ص 16.
7 - الأصبهاني: دلائل النبوة، ص 346.
8 - مسلم: صحيح مسلم، ص 1561.
9 - ابن هشام: السيرة النبوية، ج1/ ص 188.
10 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج5/ ص 230.
11 - الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج3/ ص 454.

وقد نزلت آية في القرآن الكريم في صهيب الرومي، كما جاء في حديث خباب بن الأرت قال: جاء الأقرع بن حابس التّميميّ وعيينة بن حصن الفزاريّ، فوجدوا رسول اللّه مع صهيب وبلال وعمّار وخبّاب، قاعدا في ناس من الضّعفاء من المؤمنين، فلمّا رأوهم حول النّبيّ حقروهم، فأتوه فخلوا به وقالوا: إنّا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا، تعرف لنا به العرب فضلنا، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: (نعم)، قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا، قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليّا ليكتب، ونحن قعود في ناحية، فنزل جبريل عليه السّلام فقال: {ولا تطرد الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظّالمين} [الأنعام: 52].[1]

وحين أراد صهيب الرومي الهجرة، قال له كفّار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيرا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الّذي بلغت، ثمّ تريد أن تخرج بمالك ونفسك، واللّه لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإنّي جعلت لكم مالي، قال: فبلغ ذلك رسول اللّه، فقال: ربح صهيب، ربح صهيب.[2]

المرحلة الثالثة: بعد صلح الحديبية: كتب رسول الله بعد صلح الحديبية كتابا إلى هرقل عظيم الروم، يدعوه فيه إلى الإسلام وانتشار الإسلام في بلاده، جاء فيه (بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، من محمّد عبد اللّه ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم: سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد، فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك اللّه أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّ عليك إثم الأريسيّين) و{يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلّا اللّه ولا نشرك به شيئا ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون})، فأرسل هرقل في ركب من قريش، وكانوا تجّارا بالشّأم، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الرّوم، ثمّ دعاهم ودعا بترجمانه، ثم سأل ما سأل عن النبي وأجاب أبو سفيان بلا كذب ولا تحريف، وقد قرى رسالة النبي وكثر عنده هرقل الصّخب وارتفعت الأصوات، واعترف هرقل بالنبي قائلا أبا سفيان (فإن كان ما تقول حقّا فسيملك موضع قدميّ هاتين، وقد كنت أعلم أنّه خارج، لم أكن أظنّ أنّه منكم، فلو أنّي أعلم أنّي أخلص إليه لتجشّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه)، ثمّ أخرج الوفد القريشي وأمر بأبوابها فغلّقت، ثمّ اطّلع فقال: يا معشر الرّوم، هل لكم في الفلاح والرّشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النّبيّ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلّقت، فلمّا رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردّوهم عليّ، وقال: إنّي قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدّتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه.[3]

وقد سبق أن هرقل بعث إلى الأسقفّ فدخل عليه – وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله – فلمّا قرأ الكتاب قال الأسقفّ: هو واللّه الّذي بشّرنا به موسى وعيسى الّذي كنّا ننتظر، قال قيصر فما تأمرني؟ قال الأسقفّ أمّا أنا فإنّي مصدّقه ومتّبعه، فقال قيصر: أعرف أنّه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الرّوم.[4]

ثم قال هرقل لدحية بن خليفة الكلبيّ –رسول النبي إليه–: واللّه إنّي لأعلم أنّ صاحبك نبيّ مرسل، وأنّه الّذي كنّا ننتظر ونجده في كتابنا ولكنّي أخاف الرّوم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته.[5]

وقد أهدى هرقل هدايا إلى النبي، كما قال أنس بن مالك، أنّ ملك الرّوم، أهدى إلى النّبيّ مستقة من سندس، فلبسها، فكأنّي أنظر إلى يديه تذبذبان، ثمّ بعث بها إلى جعفر فلبسها، ثمّ جاءه، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لم أعطكها لتلبسها» قال: فما أصنع بها؟ قال: «أرسل بها إلى أخيك النّجاشيّ.[6]

1 - ابن ماجة: سنن ابن ماجة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2015م، ص 723.
2 - ابن هشام: السيرة النبوية، ج1/ ص 477.
3 - البخاري: صحيح البخاري. ص 2 – 4.
4 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج6/ ص 481.
5 - الأصبهاني: دلائل النبوة، ص 101.
6 - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج21/ ص 93.

المرحلة الرابعة: مرحلة الحرب والسجال: بدأت المرحلة الرابعة بغزوة مؤتة، فقد بعث رسول الله في جمادى الأولى سنة ثمان، جيشا إلى مؤتة وعين زيد بن حارثة أميرا لهم وتوقع مقتل الأمير فتعين أميران متتابعان بعده: جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة.

ثمّ مضوا حتّى نزلوا أرض الشّام، فبلغ النّاس أنّ هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، في مائة ألف من الرّوم، وانضمّ إليهم مائة ألف من العرب، فلمّا بلغ ذلك المسلمين، أقاموا ليلتين يفكّرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول اللّه فنخبره بعدد عدوّنا، فإمّا أن يمدّنا بالرّجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره، فنمضي له، فتكلم الناس عبدالله بن رواحة وحرّضهم على النصر أو الشهادة، فصدقه الجيش واستداموا حتى لقي الجيشان بمؤتة واستشهد فيها الأمراء الثلاثة، ثم عين المسلمون خالد بن الوليد أميرا لهم فدافع القوم، وحاشى بهم، ثمّ انحاز وانحيز عنه، حتّى انصرف بالنّاس.[1]

فلما رجع الجيش إلى المدينة جعل النّاس يحثون عليهم التّراب ويقولون: يا فرّار، فررتم في سبيل اللّه! فيقول رسول اللّه: ليسوا بالفرّار، ولكنّهم الكرّار إن شاء اللّه[2]، فقوله بمثابة تهيئة المسلمين لتكرار الحرب مع الروم.

ففي سنة تسع من الهجرة، أمر النبي الناس بالتجهز لغزو الروم، وكان سببها أنّ النّبيّ بلغه أنّ هرقل ملك الرّوم ومن عنده من متنصّرة العرب قد عزموا على قصده، فتجهّز هو والمسلمون وساروا إلى الرّوم، وانتهى الجيش إلى تبوك، وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يقدم عليه الرّوم والعرب المتنصّرة، فصالح النبي صاحب أيلة وأهل أذرح وأهل جرباء وأهل مقنا على الجزية، ثم عاد إلى المدينة.[3]

وبعد رجوع النبي من حجه سنة عشر، جهز جيشا من المسلمين وأمر عليهم أسامة بن زيد وقصدهم إلى الشام، ومرض النبي مرضه الذي توفي فيه، فقبل وفاته تكرر النبي قوله (أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة)[4]، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتّى نزلوا الجرف، من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، فأقام أسامة والنّاس، لينظروا ما اللّه قاض في رسول اللّه[5]، فتوفّي رسول الله وأسامة مخيّم بالجرف، فنفّذه صديقه وخليفته أبو بكر الصّدّيق، فأغاروا وأصابوا حاجتهم، وقدم بنعي رسول اللّه على هرقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبرا واحدا، فقالت الرّوم: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثمّ أغاروا على أرضنا.[6]

علاقة النبي مع الكرد

في المرحلة المدنية اتصل أحد الأكراد بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وآمن به وروى عنه، وكان اسم هذا الصحابي الكردي جابان، فعن أبي خلدة، عن ميمون الكرديّ، عن أبيه قال: سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا مرّة ولا مرّتين ولا ثلاثة حتّى بلغ عشر مرار: (أيّما رجل تزوّج امرأة بما قلّ من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدّي إليها حقّها، خدعها، فمات ولم يؤدّ إليها حقّها، لقي اللّه يوم القيامة وهو زان، وأيّما رجل استدان دينا لا يريد أن يؤدّي إلى صاحبه حقّه، خدعه حتّى أخذ ماله، فمات ولم يؤدّه، لقي اللّه وهو سارق).[7]

في الحديث إشارة إلى كثرة مدة إقامة جابان عند النبي واستماعه له، فلن نجد حديثا كررها النبي (ص) أكثر من ثلاث مرات، فالممكن أن يكون تكرار هذا الحديث في أكثر من موقع وزمان محدود حتى بلغ تكراره عشر مرات.

وكان جابان صحابيا معروفا في الجزيرة وعند التابعين، كما أشار به مالك بن دينار، فعن أبي خلدة قال: سمعت ميمونا الكرديّ وهو عند مالك بن دينار فقال له مالك بن دينار: ما للشّيخ لا يحدّث عن أبيه؟ فإنّ أباك قد أدرك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسمع منه قال: كان أبي لا يحدّثنا عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مخافة أن يزيد أو ينقص. وقال: سمعت رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم يقول: (من كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار).[8]

1 - ابن هشام: السيرة النبوية، ج1/ ص 373-374.
2 - الطبري: تأريخ الأمم والملوك، ج1/ ص432.
3 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/ ص145-148.
4 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2/ ص 191-192.
5 - ابن هشام: السيرة النبوية، ج2/ ص650.
6 - الذهبي: تاريخ الاسلام، ج2/ ص 15.
7 - الطبراني: المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي , دار عمار - بيروت , عمان، ط1، 1985م، ج1/ ص 84.
8 - الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج6/ ص 3073.

كما لبس النبي ألبسة خاصة بالأكراد، فعن عروة عن عائشة قالت: صلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم –في خميصة لها أعلام، فقال: (شغلتني أعلام هذه، اذهبوا بها إلى أبي جهم وأتوني بإنبجانيّته، وأخذ كرديا كان لأبي جهم، فقيل: يا رسول الله، الخميصة كانت خيرا من الكردي.[1]

علاقة النبي مع الأقباط

أرسل النبي بعد رجوعه من الحديبية رسالة إلأى أهل مصر, فبعث رسول اللّه رسولا إلى المقوقس صاحب الإسكندريّة عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام، وكتب كتابا جاء فيها (بسم الله الرّحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتّبع الهدى، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الإسلام، فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا اللّه ولا نشرك به شيئا ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون).[2]

فأوصل إليه كتاب رسول اللّه فقرأه وقال له خيرا، وأخذ الكتاب فجعله في حقّ من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته[3]، ثم دعا كاتبا يكتب بالعربية فكتب (لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام، أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيّا قد بقى؛ وقد كنت أظنّ أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها)[4]، ولم يزد على هذا ولم يسلّم، فقبل رسول اللّه هديّته، وأخذ الجاريتين مارية أمّ إبراهيم ابن رسول اللّه، وأختها سيرين.[5]

يشتمل هدايا المقوقس للنبي:

الجاريتين مارية أمّ إبراهيم ابن رسول اللّه، وأختها سيرين

وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذ غيرها.[6]

حمار أشهب

عسل من عسل بنها[7]

ألف مثقال ذهبا

عشرين ثوبا ليّنا

خصيّ يقال له. مابور شيخ كبير،

أسلمت مارية في الطريق، فعرض حاطب بن أبي بلتعة على مارية الإسلام ورغّبها فيه فأسلمت وأسلمت أختها وأقام الخصيّ على دينه حتّى أسلم بالمدينة بعد في عهد رسول اللّه،

وكان رسول اللّه معجبا بأمّ إبراهيم، وكانت بيضاء جميلة. فأنزلها رسول اللّه في العالية وكان يختلف إليها هناك وضرب عليها الحجاب، فحملت بإبراهيم،

وتنافست الأنصار في إبراهيم وأحبّوا أن يفرغوا مارية للنّبيّ لما يعلمون من هواه فيها.[8]

وقد أوصى النبي المؤمنين بالأقباط خيرا، فقا لهم (إذا فتحت مصر، فاستوصوا بالقبط خيرا، فإنّ لهم ذمّة ورحما).[9]

1 - ابو داود: سنن أبي داود، ص 249.
2 - أبو القاسم المصري: فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ، ص66-67.
3 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1/ ص 200.
4 - أبو القاسم المصري: فتوح مصر والمغرب، ص 68.
5 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1/ ص 200.
6 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1/ ص 200.
7 - أبو القاسم المصري: فتوح مصر والمغرب، ص 69.
8 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج8/ ص 171.
9 - الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2، ج19/ ص 61.

المصادر:

القرآن الكريم.

ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)

1. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1955م.

ابن سعد: أبوعبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي: (ت: 230)

2. ابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1990م.

ابن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت: 240هـ)

3. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة – دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1397هـ.

أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل: (ت: 241)

4. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2001م.

البخاري: محمد ن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي: (ت: 256)

5. صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، 1999م.

أبو القاسم المصري: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، (ت: 257هـ)

6. فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ.

مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: (ت: 261)

7. صحيح مسلم، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، 2017م.

ابن ماجة: محمد بن يزيد الربعي القزويني: (ت: 273)

8. سنن ابن ماجة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، 2015م.

أبوداود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني: (ت275)

9. سنن أبوداود، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الاولى، 2015م.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: (ت: 279)

10. سنن الترمذي، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الاولى، 2016م.

الطبري: أبوجعفر محمد بن جرير الطبري: (ت: 310)

11. تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية.

ابن حبان: أبوحاتم محمد البستي: (ت: 354)

12. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1993م.

الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي: (ت: 360)

13. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية.

14. المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي, دار عمار – بيروت, عمان، الطبعة الأولى، 1985م.

الحاكم: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري: (ت: 405)

15. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1990م.

أبونعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد المهراني الأصبهاني: (ت: 430)

16. تاريخ اصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ج1/ ص 105.
17. معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى 1998م.
18. دلائل النبوة، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م.
البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي: (ت: 458)
19. دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى – 1988م.
ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري: (ت: 630)
20. الكامل في التأريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت – 1997.
الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: (ت: 748)
21. سير أعلام النبلاء، دار الحديث– القاهرة، 2006م.
22. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م.
ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: (ت: 774)
23. البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، 1997م.